

مناقشة

العودة الى ألف باء الفكر العلمي

والتتاري مدرس الفلسفة

سماهي خنثبه

في العدد الثاني من « ملحق الفلسفة والعلم » الذي بدأت مجلة « الطليعة » القاهرية اصداره ، عدد شهر اغسطس ١٩٧٤ ، كتب الدكتور مراد وهبة - المشرف على الملحق - تعليقا على ما سبق ان كتبت في نقد العدد الاول من هذا الملحق ، ونشر في عدد يونية الماضي من الاداب ، في رسالة القاهرة ، تحت عنوان « الفرق في التفلسف المجرى والوظيفة الثورية للفلسفة » ، كتب الدكتور مراد وهبة تحت عنوان « التتارية وثقافة العصر » فاتهمني بانني اسفته قسدة عقل الانسان على التجريد والتعمير ، وبانني ادعو الى الكف عن التفلسف. وتحت هذين الاتهامين انطوت اتهامات اخرى : انني لا اعلم ما ينبغي ان اعلم واخوض فيه عن جهل ، وانني زيفت ما نقلت عنه هو بالذات من عبارات اشرت اليها عن تقديمه للعدد الاول من الملحق المذكور ، وانني زيفت الانسان ايضا ، بان نسبت الى كتاب العدد انهم « اوردوا » كتبا لفلاسفة المادية الجدلية الكبار ، مع انها لم « ترد » الا عند واحد منهم وهو فيلسوف بلغاري ... ولم يكتب الدكتور بهذا كله ، بل اشار في تلميح لا حاجة به الى التصريح الى انني - على الاقل - سيء النية ازاء هؤلاء الكتاب ، او حتى محرض او متواطئ ضدهم وضد الملحق ، وما يستتبع هذا التحريض الذي لمح اليه من سقوط اخلاقي وفكري وسياسي ... وبناء على هذا كله ، فانا عند مراد وهبة ، في النهاية تتاري من سلالة الهمج الذين دمروا ثقافة البشرية . وقال مراد وهبة ، انه يبذل كل هذا الجهد في الرد على نقد يتسم بالتتارية : « بدافع واحد ليس الا .. بداية شيوع التتارية في حياتنا الثقافية » .

هذه خلاصة وافية لرد الدكتور ، سوف تزيد تفصيلا بالضرورة بعد قليل . وهذا من حسن حظ الدكتور وهبة ، اذ انني ساتيح له ان يعرف الناس رده ، مرة اضافية ، على حسابي . ولكني اعتقد ان هذا ضروري ومفيد . فالمسألة عندي ليست هي الدفاع عن شخصي الضعيف ، وانما المسألة هي القضية التي طرحتها في ذلك التعليق والنقد الذي دفع الدكتور وهبة الى كتابة ما كتب ، وهي القضية التي تجاهلها فيما كتبه ، وآثر ان يلجأ الى اسلوب مشهور ساصفه بما يستحقه بعد قليل وساحاسبه فيه عسير الحساب .

تجاهل الدكتور وهبة القضية المطروحة ، والتي اعتقد انها واحدة من اهم قضايا الفكر العلمي في تاريخه كله وفي كل مكان ، بل هي القضية المحورية للفلسفة كلها - علمية او تجريبية او تأملية ، مادية او مثالية ، ومن اخطر القضايا في تاريخ الفكر الحديث ومصيره في مصر بالذات ، وهي في نفس الوقت قضية تكاد تكون بدوية، تكاد تكون دعوة الى « تذكر » ألف باء الفكر العلمي التي نسيها او يتناساها اساتذة الفلسفة وشراحها من نوع مراد وهبة ، الذين انزلوا عن حركة الواقع الجياش ، حركة الجماهير التي لا بد ان يتفاعل هذا الفكر مع كل جوانب واقعها وحضارتها وثقافتها ، والذين اذا قرروا

الاهتمام بجانب « واقعي » من هموم هذه الجماهير او ثقافتها ، فعلاوا ذلك بطريقة الاساتذة ، شراح الفلسفة « فراخوا » يعلمون « من فوق منبر مرتفع ناسين كلاههم عن ضرورة تحليل « الواقع » ، او تحويل الحال الى ممكن بفضل الانسان المصري . وهي قضية ذات شقين : يتعلق الشق الاول بارتباط الفكر عموما ، والفكر العلمي بالذات بالواقع من جوانبه كلها : الاقتصاد والثقافة والسياسة والاخلاق والتكنيك .. الخ . وبالنسبة للمفكرين العلميين المصريين ، اعتقد ان الواقع الذي يعنيههم بالدرجة الاولى هو الواقع المصري في حركته وفي علاقاته المتشابكة مع الواقع العربي . ومع الواقع العالمي كله . ويتعلق الشق الثاني باقامة الفكر العلمي - اي الفهم العلمي للوجود - على سند من اكبركم من « المعلومات » الموضوعية عن كل مجال من مجالات هذا الوجود . فهذا هو السند الذي قام عليه الفكر العلمي منذ قام ،

اليس كذلك ؟ ، حتى لا يكون الفكر العلمي تاملًا مجردًا وسلبيا مقطوع الصلة بحقائق الاشياء وبالعلاقات الحقيقية التي تربط بين هذه الحقائق . الحواس تدرك الاشياء ، ويكتشف العقل العلاقات القائمة بينها ، « والمعلومات » هي الصياغة العلمية الموضوعية للاشياء وعلاقاتها التي تنقل الظاهرة المادية ، تنقل الوجود كله للعقل الانساني لكي يحتفظ بها ، يسجلها ، يستخدمها ، يفكر فيها ، يكتشف القوانين التي تحكم حركتها على اساس ادراكه للعلاقات القائمة بينها . بهذا الشكل يرتبط الفكر العلمي بالمنجزات الحقيقية للبشرية في علاقتها بالعالم المادي وتفاعلها معه ، ويرتبط بالحياة الحقيقية وبمشاكل الحياة الحقيقية للناس . يصبح الفكر العلمي بهذا الشكل ، وتطبيقاته في حياة الناس الحقيقية ، بجوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية والتكنيكية ، اداة في ايدي قوى التغيير الاجتماعية ، لانه سيمبر عن هذه القوى بالذات . وستكون هذه الاداة في ايدي تلك الجماهير نورا للوعي والمعرفة يقود حركة التغيير التي لا تنجزها سوى الجماهير الكادحة - التي لا تذهب الى الجامعة لتستمع الى محاضرات مراد وهبة ، ولكنها قد تقرأ ملحقا للفلسفة والعلم يباع في السوق مع مجلة شهرية سياسية تقدمية . وسيكون هذا الفكر نتاجا طبيعيا لحركة التغيير ذاتها ولتنطورها ووعيها بذاتها وواقعها ، ينتج ويطوره المثقفون الثوريون الحقيقيون ، الذين قد يكون من بينهم مدرسو فلسفة من نوع مراد وهبة او لا يكون ، لا يهم . فالحركة الفكرية العلمية ، لا تنشأ من مجرد قراءة الكتب واعادة قراءتها لحفظها وتلخيصها وتدريس ملخصاتها (فهذه هي الطريقة المثلى لاساءة فهم الكتب وفصل ما فيها من افكار عن ملامساتها التاريخية) . الأرجح ان تنتج حركة الجماهير صاحبة المصلحة في التغيير « فلاستها » الذين يعرفون ان المشكلة الاساسية في الفلسفة هي العلاقة بين الوعي وبين الوجود ، بين التفكير وبين المادة والطبيعة . ويعرفون ان الوعي والتفكير انعكاس للوجود السابق ونتاج لتطور المادة والعالم المادي ، وان الوعي ميزة خاصة ووظيفة للمادة في اسمى اشكال تطورها ، وان وجود وتطور العقل والتفكير البشريين مستحيلان دون وعائهما المادي اللغوي ، اي الكلام واللفظ ، وان الوعي يبرز نتيجة لنشاط الانسان في العمل المادي ، اي في محاولة تفسير الطبيعة ، فيجمع « المعلومات » عن اشياء ، ويكتشف « العلاقات » بينها لكي يمارس عمله عليها ، فيغير بهذه المعرفة وتلك الممارسة نفسه ، يصبح صاحب خبرة ، واعيا ، ويعرفون ان الوعي في النهاية اجتماعي يحدده الوجود الاجتماعي للانسان .

وامثال هؤلاء الفلاسفة العلميين الثوريين ، يصعب انتساجهم بطريقة مراد وهبة وكل مدرسي الفلسفة المحترفين ، المنزليين عن العمل المادي الساعي الى تغيير الحياة الواقعية في كل جوانبها والتي يدرك اصحابها هذه الحياة ، حقائقها وعلاقتها ، فيتفكرون هم ايضا ، يصحجون اكثر واعيا ، فلاسفة ثوريين ، في انشاء انشغالهم بتغيير

الحياة ، مهتدين بمبادئ تراث الفكر العلمي نفسه ، الذي نشأ بنسب الطريقة وتطور على نفس الأساس .

في بداية تقديم العدد الثاني من ملحق الفلسفة والعلم ، وهو نفس العدد الذي رد فيه مراد وهبة على نقدي « التتاري » يعلن المشرف على الملحق (فوق اول توقيعاته الخمسة في هذا العدد المسكين) في كلام يصعب تحديده معانيه ومعاني مصطلحاته ومنطق سياقه ، ولكن الأرجح انه يعلن ان قضية « التكنولوجيا والانسان » هي قضية الفلسفة والعلم .. « فقد كان ينبغي تعريف القراء بطبيعة كل من الفكر الفلسفي والفكر العلمي مع بيان العلاقة بينهما » . ونحن نعرف ان الفكر الفلسفي يشمل الفكر الفلسفي العلمي والفكر الفلسفي غير العلمي ، ولم تكن نعرف ان هناك فكرا علميا ولكن غير فلسفي ، وانما تربطه بالفكر الفلسفي علاقة ما ، سيبينها لنا الملحق باذن الله . ولكن مراد وهبة ، يمضي بعد هذا الخلط (الذي احسبه مقصودا ، فالرجل مدرس فلسفة ، ويصعب تصور انه يخلط هكذا بين الكل والجزء في الفكر الفلسفي) اقول انه يمضي بعد هذا الخلط المقصود ، ليقيم « خلطة » مقصودة ايضا من تعريفات الفلسفة ، من هيدجر ، الى سارتر ، الى ماركس (رغم انه لا يقع على تعريف ماركس للفلسفة ، وانما يقدم تحديد ماركس لوظيفة الفلاسفة الثوريين وفلسفتهم : تعديده لوظيفة الفلسفة الثورية ، وليس الوظيفة الثورية لـ (الفلسفة) كما يقول وهبة) . والقصد من الخلطة يتضح في السطور الاخيرة . ان الرجل الذي قدم العدد الاول من الملحق بكلام عن ضرورة ربط قوى الانتاج المتمثلة في الثورة العلمية والتكنولوجية « بأشكال جديدة من علاقات الانتاج تمثل في ثورة اجتماعية هي الثورة الاشتراكية » ، هذا الرجل صاحب هذا الكلام « العمومي » للغاية ، بكل ما فيه من اساءة فهم لكل ما استخدمه من مصطلحات ، يعلن في نهاية تقديمه للعدد الثامن من الملحق ، بعد التخليط الاول والخلطة الثانية ، واجابة على سؤال : اين نحن من هذه التعريفات ، للفلسفة ، يعلن ان هناك ارهاصات نلمحها عند زكي نجيب محمود وعثمان امين وعبد الرحمن بدوي ورييه حبشي ومحمد عزيز الحبابي . وانها « ارهاصات متباينة ومع ذلك فهي متفقة على ضرورة تغيير الواقع ، او على الاقل رفض الواقع الراهن . » هكذا . كلهم فلاسفة ، وكلهم عندهم تعريفات للفلسفة : متباينة صحيح ، ولكنها تدل على رفض الواقع الراهن او متفقة على ضرورة تغيير الواقع . ولكنه لا يقول لنا انهم لم يتفقوا على فهم لهذا « الواقع » فلكل منهم تعريف له مختلف عن الآخرين ، ولا يقول ان كلا منهم يطلب تغييرا من نوع معين ، وانهم متفقون في النهاية على العودة بالواقع الى الوراء ، اذا اتفقتا نحن - وليس هم - على ان « الواقع » هو حياة العمل والتقدم والياد والموت والانتاج والصراع من اجل التقدم والرخاء والسلام والعدل والمعرفة . ولكن مراد وهبة ، يقصد ايضا الى هذه « الخلطة » من الفلاسفة اصحاب التعريفات المتضاربة شكلا ، المتفقة مضمونا . والمدهش حقا ، ان ينسب اليهم الاتفاق - في تعريفات الفلسفة - على تغيير الواقع او رفضه على الاقل ، وذلك بعد ان نسب الى ماركس تعريفا للوظيفة الثورية للفلسفة كلها (كما يزعم) تصبح فيه هذه الوظيفة - لكل فلسفة ، بما فيها فلسفة محمود وامين وبدوي والحبابي وحبشي هي « تغيير العالم » . يقول الشعب المصري ان « كله عند العرب صابون » ، وكنت اظن ان مدرسي الفلسفة - حتى اذا تصدوا الى التموه ونسب الشركاء - يستطيعون التمييز بين اصناف « الصابون » المختلفة ويستطيعون حتى - اتقان نصب الشركاء واصطناع وسائل التموه بطريقة افضل .

وليس هذا في الحقيقة هو كل شيء في هذا التقديم الطريف للعدد الثاني من ملحق « الفلسفة والعلم » .

ان وهبة ، بعد ان وضع كلمة « الواقع » منسوبة الى « فلاسفتنا » بدلا من كلمة « العالم » المنسوبة الى ماركس ، يعود

فيضع كلمة « تحليل الواقع » محل كلمة « تغيير الواقع » او « رفض الواقع الراهن » حسنا . فلنقبل منه هذا التعديل والتوفيق كله ، ولنقبل حتى « تحليل الواقع » ، فالتحليل في النهاية لا بد ان يقوم على « وقائع » وحقائق ومعامات . اخيرا نحصل على وعد بان « يطل الواقع » ، ولا شك ان « الواقع » المقصود في ملحق للفلسفة والعلم ، سيكون غالبا هو « فلاسفتنا وعلمنا » ، هو فلسفة محمود وامين وبدوي . . وهبة ، وحتى اذا كانت القضية المطروحة هي « التكنولوجيا والانسان » ، فلا بد ان يكون « الواقع » المقصود ، والذي رأى وهبة ان تحليله « اذن » ، هو « امر لازم ومطلوب » هو « تكنولوجيانا » و « انساننا » . ولاحظ ان « اذن » هذه من عنده ، وانها في اللغة العربية « حرف معناه الجواب والجزاء لكلام سابق » ، اي انها اداة لتأسيسه نتيجة على مقدمة ، ونحن لا نعرف كيف جاءت هذه النتيجة بالتحديد من كل تلك المقدمات السابقة بالتحديد ، المقدمات التي بدأت بان قضية « التكنولوجيا والانسان » هي قضية « الفلسفة والعلم » ، وان تعريف الفكر الفلسفي والفكر العلمي امر كان « ينبغي » ، ولكنه صعب ، لان هيدجر له تعريف وسارتر وماركس ايضا ، علاوة على بدوي ومحمود وامين وحبشي والبابي (فكيف بالله يمكن ان نعرف شيئا اختلف على تعريفه كل هؤلاء العباقرة الموضوعين في جراب « وهبة » الواسع كبطن السيد البديوي) .

لست اتفكك بالرجل حقا وانما كلامه هو الفكاهي . فلنعسد « اذن » الى الجد . وأسف اذ سيطول كلامنا هذا في الرد عليه ، لاننا نهتم حقا بقضية حيوية من فضاي الفكر العلمي في بلادنا ، ومن قضايا « الفكر » كله ، علميا كان ام غير علمي . فتاريخ الفكر في جوهره هو الصراع بين الفكر العلمي وبين الفكر غير العلمي . اذا كان اصبح من حسن الحظ ان يفكر بعض مثقفينا من اصدار ملحق للفلسفة والعلم ، فمن حقهم علينا ان نهتم بهم وبالمحقق الذي يصدرونه . ذلك اننا بحاجة حقا الى الاهتمام بالفلسفة ، وبملاقاتها بالعلم . واذا كانوا قد قالوا لنا في تقديمهم للعدد الاول ان الملحق يصدر بعد ٦ اكتوبر الذي اثبت ان المستحيل هو في حقيقة الامر ممكن ، وان ذلك تم على ايدي الانسان المصري ، وبعد مؤتمر للفلسفة في « فارنا » ، فمن حقنا ان نتنظر من هذا الملحق ان يكشف العلاقة بين فلسفة الانسان المصري (اي الفلسفة التي انتجتها ثقافة الانسان المصري او التي اثرت في هذه الثقافة) وبين حياة الانسان المصري ذاته . واذا كان هذا الملحق ، قد اعلن انه اختار قضية « التكنولوجيا والانسان » موضوعا اساسيا له طوال عام كامل (اي في اربعة اعداد صدر منها اثنان) فمن حقنا « اذن » ان نتنظر منه ان يتحدث فيكشف العلاقة بين « تكنولوجيانا » و « انساننا » . خاصة وان المشرف على الملحق ، قال في تقديمه للعدد الاول ان قضية التكنولوجيا والانسان هي قضية العصر بحكم ثلاثية الثورة في هذا العصر : الثورة العلمية والثورة التكنولوجية والثورة الاجتماعية . ونحن نعرف - ولعله هو ايضا يعرف - ان الثورة الاجتماعية ليست مقولة مجردة ، وانما هي مصطلح للتدليل على فعل اجتماعي تاريخي معين ، تقوم به الجماهير الكادحة وحلفاؤها تحت قيادة مثقفين ثوريين من ابنائها يؤمنون بمصالحها ويتعلمون من الجماهير نفسها التي يقودونها ويحاولون ان يعلموها ايضا اثناء تفاعلهم معها ووجودهم وسطها . وعلى هذا الاساس فان الثورة الاجتماعية فعل محدد ، يحدث في تاريخ محدد اي في « مجتمع » بعينه ، ويرتبط بحضارة وثقافة محددين . يهتدي بالقوانين العلمية العامة لحركة التاريخ ، ولكنه لا يد ان يكتشف بالاستعانة بهذه القوانين ومناهج صيغتها ، حقائق تاريخ ذلك المجتمع بالذات وخصائصه ، وحقائق واقعه وخصائصه السياسية والاقتصادية والثقافية والحقائق والخصائص المتعلقة بتكنولوجياه هو بالذات . . وبانسانه .

يقول وهبة في نهاية تقديمه للعدد الثاني من الملحق: «ولهذا» كان لا بد من إثارة قضايا تتعلق بواقعا في تلاحه مع الواقع العالمي. فاستقر الرأي على طرح قضية «التكنولوجيا والانسان». وجساء هذا الكلام بعد قوله ان تحليل الواقع «اذن» امر لازم وضروري. ولكننا لا نخرج - حتى بمعلومة واحدة عن هذا الواقع، في تلاحه او في غير تلاحه مع الواقع العالمي، باستثناء تلك المعلومات البسيطة التي نقلها المهندس ميلاد حنا عن تكنولوجيا استخدام الخرسانة المسلحة في التشييد عندنا وعند العالم المتقدم (الراسمالي والاشتراكي) في العدد الاول وباستثناء بعض المعلومات المتناثرة غير المترابطة في رؤية متسقة عن الدكتور يوسف مراد، عالم النفس والفيلسوف الفنان الراحل، في العدد الثاني.

لم تصد الفلسفة هي «علم العلوم»، انما أصبحت علم القوانين العامة للوجود (اي الطبيعة والمجتمع) وللفكر الانساني و لعملية المعرفة. وهذه كلها مجالات «محددة»، موضوعات «للمعرفة»، ومن الواضح ان قضية «التكنولوجيا والانسان» هي من اتقضايا التي تتعلق - في الفلسفة - بالجانب الاجتماعي من الوجود، وبجانب الفكر الانساني وعملية المعرفة وبتناجيهما التطبيقية وهذه الجوانب من الوجود، بعكس الطبيعة، لا بد ان تحصل خصائص معينة في كل سياق تاريخي بعينه: اي في كل مجتمع بعينه وفي ظل كل حضارة متميزة كيفيا عن الحضارات الاخرى. وكما قلت في تعليقي السابق، فاننا لا نستطيع ان نتحدث عن «تكنولوجيا» عامة غير محددة، ولا نستطيع ان نتحدث عن علاقتها بانسان عام غير محدد. حينما نتحدث فيلسوف عن «التكنولوجيا والانسان» فلا بد ان يكون في ذهنه مستوى معين من التكنولوجيا، وانسان ينتمي الى حضارة بعينها. فالفيلسوف يتحدث بناء على «تجربة» محددة. وحتى لو كانت هذه «التجربة» هي جماع التجربة الانسانية» فانه في هذه الحالة سيحاول تحديد الملامح العامة المشتركة بين التجارب الانسانية التي مارستها شعوب الحضارات المختلفة، ثم لا ينفي في النهاية الملامح الخاصة التي تميزت بها كل حضارة، ولا تكون هذه الملامح الخاصة «استثناء» من الملامح العامة، وانما تكون تأكيدا لها من ناحية، وتخصيما لها من ناحية اخرى: انها «الواقع» المادي لهذه الملامح العامة. لا بد اذن - خاصة في منبر جماهيري، لا ينبغي ان يتوجه الى المتخصصين، وحتى اذا كان يتوجه الى المتخصصين عندنا - لا بد ان نتحدث عن تكنولوجيا بعينها، عن انسان محدد ينتج هذه التكنولوجيا او يستعملها - شأننا - ويستخدمها، يواجه بها عالم الطبيعة والمادة، بغيرها بطريقة محددة، ويتغير هو من خلال اشتغاله بتغيير الطبيعة، اي من خلال عمله. الاكثر من هذا، انه على ضوء وفي ظروف هذا العمل، المرتبط بمستوى معين من التكنولوجيا في ظروف اجتماعية معينة، فان هذا الانسان ينتج ايضا ثقافة، مصبوبة في لفة وفي اشكال وادوات، وتتخذ في جوانب منها شكل تصورات ومثلوقيم. كلها «محددة»، وكلها ايضا ينبغي ان تكون - وهي بالفعل - موضوعات للمعرفة (وهذه الجوانب بالذات من واقعنا هي التي لم تخضع بعد في معظمها للمعرفة، لم تعرف، لم تجمع عنها المعلومات ولم تدرس الدراسة العلمية المعقولة بعد، ولهذا السبب اقول ان هذا الملحق ينبغي ان يرتبط «بواقعنا» وان ينشغل به كل الانشغال من اي زاوية فيه ومن كل زاوية، حتى لو كان للمتخصصين: انهم ايضا بحاجة الى ان يعرفوا هذا الواقع من هذه الجوانب غير المعروفة بعد). .. هذا اذا شئنا ان نطبق على هذه الجوانب من واقعنا المنهج العلمي، وهذا اذا شئنا ان يكون للمنهج العلمي دور حقيقي في تطوير ثقافة «المجتمع» الذي نكتب له، والذي قد

نكتب عن علاقة انسانيته بتكنولوجياه.

تلك كانت القضية، وما تزال هي القضية التي نهتم بها اساسا فيما يتعلق بهذا الملحق، والتي طرحتها في تعليقي المذكور على العدد الاول من الملحق وقد اشار رد الدكتور وهبة، لا السى تجاهله لهذه القضية، ولا الى اتخاذه سمت «المعلم» في غير ما تعليم، وانما اشار الى حرصه الشديد على الدفاع عن شخصه اساسا، وتظاهره بالدفاع عن بقية كتاب العدد محاولته البرهنة على انهم مما «اتهمتهم» به ابرياء (!): الدفاع عن قدرته هو على «التعميم والتجريد» باعتبارها قدرة «الانسان» على التعميم والتجريد. والدكتور العزيز مراد وهبة يعتقد ان تجريده هو وتعميمه هما قدرة العقل الانساني على التعميم والتجريد، وان تدمير تعميماته وتجريده هو انها تعني «نراجع التطور فنجد الانسان بانه كان حي دون ان يكون عاقلا». ونحن نعتقد ان الدكتور وهبة كان عاقل بالفعل. ولكن افكاره ما تزال عتيقة وعامة لشدة عموميتها وتجريدها، اي لانها لا علاقة تربطها بواقع حضارة معينة، ولا تهتم بدراس انسان هذه الحضارة وعلاقته بظاهرة محددة، ولا يحاول حتى ان يستخلص القوانين العامة لتجربة من تجارب الانسانية كلها بوجه عام، وانما هو يعتمد على ما حفظه من كلمات هذا الفكر او ذلك، وعلى خلط هذه الكلمة بتلك (من نوع خطئه وخطئة المذكورين آفا) قصدا او بغير قصد.

وقد اهتمي الدكتور مراد وهبة بانني زيفت عبارة له، وحسد بدقة ارقام السطور التي زيفت فيها عبارته.

العبارة التي يهتمي فيها بالتزييف هي: «كيف يمكن ان يكون النظام الصناعي المتولد عن النظام الراسمالي عاجزا عن استيعاب علاقات الانتاج المتولدة عن ادوات الانتاج (وليس قوى الانتاج كما قال الدكتور وهبة)».

ويرد على ذلك بقوله: «ولكن اعتقد انك (يقصدي) في هذه المرة تعلم اعلم العلم ان عبارتي المنشورة في الملحق وردت على النحو التالي: «ان النظام الصناعي الناتج عن النظام الراسمالي عاجز عن مواكبة الاتار المترتبة على الثورة العلمية والتكنولوجية المتمثلة في السيرناتيقا...».

ومن الواضح انني كنت اصحح له خطاه في استخدام مصطلح «قوى الانتاج» بدلا من «ادوات الانتاج»، وقد صححته له بقولي، بعد الكلمات السابقة مباشرة، والتي حدد رقمها بدقة (!): «فالادوات هي الآلات.. اما قوى الانتاج فتضم الآلات والعمال معا». وبذلك يتضح انني كنت اشير الى كلامه بعدد الكلام الذي اشار هو اليه في مهارة متملصا من الخطأ، بسطرين ونصف سطر فقط، ليوهم نفسه، او ليوهم الناس انني ادعيت عليه ما لم يقله. ولكنه قال ما نصه، بعد السطرين المذكورين:

«ومعنى ذلك ان تغيرا كيفيا قد تولد من التزايد الكمي، وان مواجهة هذا التغير الكيفي لن يكون الا باضافة بعد ثالث لثورة العصر، وهو البعد الاجتماعي، ذلك ان قوى الانتاج المتمثلة في الثورة العلمية والتكنولوجية تؤكد ضرورة ربطها باشكال جديدة من علاقات الانتاج تتمثل في ثورة اجتماعية هي الثورة الاشتراكية».

ومرة اخرى افسول للدكتور مدرس الفلسفة، الذي يتظاهر بالعلمية مرة ثم يهرع خائفا كأنها تهمة لكي يعلن انه كان يتحدث عن السيرناتيقا لا عن الثورة الاشتراكية (!) مثلما هرع يحتمي بهيجر وسارتر وعبدالرحمن بلوي وزكي نجيب محمود وعثمان امين والحبابي وحشي لكي يفرق في زحمتهم ماركس المسكين، مرة اخرى اقول له.. رغم انه يعلمنا «فيلخط» المصطلحات ومعانيها انه كان المفروض ان يستخدم مصطلح «ادوات الانتاج»، لا «قوى الانتاج».

وانه اذا شاء ان يستخدم المصطلح الاخير ، فقد كان عليه ان يصلح سياق جملته وان يستخدم مصطلح « الطبقة العاملة » . ففي الماركسية علم للاقتصاد وعلم اخر للسياسة ، ولكل من العلمين مصطلحه الخاص .

لست مزيف عبارات اذن يا دكتور وهبة المزيب . انت الذي تزيف وتنكر نفسك . فلعلي اذن اكون مزيفا للانسان ؟ بان انسب اليك والى الاسانذة الكتاب الاخرين « ايراد » كتابات من نوع « جـسـل الطبيعية » لانجاز او « المادية والنزعة النقدية التجريبية » للينين او الجزء الاول من « راس المال » لماركس ، او « مقالات في تاريخ المادية » لـليخانوف .

وانت تنكر ذلك بقولك : « .. ان الكتب التي ذكرتها لم ترد الا في بحث واحد من الابحاث المنشورة .. »
اما انا فلم اقل ان هذه الكتب « وردت » ، وانما قلت : « رغم ان الكتب التي استند اليها الاساتذوقالدكاترة الكتاب .. الخ » . قلت « استندوا » اليها ولم اقل انهم « اوردوها » . ثم ان الاقوال التي « اوردتها » الكاتب الوحيد الذي تشير اليه ، وهو بلغاري ، ليست من اي من الكتب التي ذكرتها انا (اذهب واساله ، او ابحث عن مصادرها بنفسك او اطلب ان نذكرها لك فنذكرها ونوفر عليك حتى هذا الجهد) .

واعتقد ان الدكتور يعرف الفرق بين « ايراد » اسم كتاب ، وبين الاستناد اليه . وفي القاموس ان « استند - اليه : سند » وان « سند اليه - سنودا : ركن اليه واعتمد عليه واتكأ » وهذا غير « اسند الحديث الى قائله ، اي رفعه اليه ونسبه » . وفي القاموس ان « اورد فلان الشيء ، احضره ، والخبر ، ذكره . و « الخبر عليه : قصته .. » . وهذا معناه ان الاستناد الى كتاب يعني الاعتماد على افكاره دون ضرورة لاي ايراد اسمه . وان ايراد الكتاب او وروده يعني بالضرورة احضاره وذكره وذكر اسمه وبالتالي ذكر الصفحة .. والسطر اذا امكن ، ولكن بصنق .

والدليل على انك شخصيا « استندت » الى هذه الكتب - وان كنت قد اثبت في تقديم العدد الثاني انك قادر على « ايراد » كتب اخرى ، وانت لا تعرف كيف تختار فيما بينها - شان الفيلسوف بالمعنى الدارج لهذه الصفة . الدليل على ذلك هو استخدامك مصطلحات من نوع: التزايد الكمي والتغير الكيفي ، والدولة الاحتكارية ، وقوى الانتاج ، وعلاقات الانتاج ، والثورة الاشتراكية وتغيير العالم بدلا من تفسيره .. الخ . اذا لم تكن تعلم فبوسعنا ان ندلل على مصادرها .

لست مزيف عبارات ، ولا مزيف انسان اذن يا دكتور . لعلك انت ان تكون مزيف عبارات ؟ وتزيف ولكن تتهم من ناقشك - بسخرية فعلا - الا تستحق « الحكاية » - ؟ بالتزيف ؟ وبانه يسفه قدرة العقل على التجريد ويدعو الى ان تكف عن التفكير ؟ يقول الدكتور وهبة : « يقول سامي خشبة : ينبغي ان تكف عن كتابة مقالات ذات عناوين من نوع هذه المقالات التي نقرأها في العدد الاول من ملحق الطبيعة الفلسفي .. الخ » . وهو يحدد السطر بدقة . اما ما قلته حقا فهو : « ان البحث الفلسفي عن تأثير تكنولوجيا من مستوى معين من التطور ، في انسان مجتمع وحضارة بعينهما ، يعني ان تكف عن كتابة مقالات .. الخ » .. قلت « يعني » وليس « ينبغي » . ويقول مراد وهبة : « ويقول (يقصدني) ايضا : ينبغي ان تكف في هذا العصر المعقد السيبرناتيقي الذي تمقد دون حد واكتشف الفكر الانساني في كل مكان ذلك التعقد القديم المتزايد ، ينبغي ان تكف عن التفكير المجرد » ثم يحدد مكان السطور بالدقة .

اما ماقلته انا حقا فهو : « وهذا معناه في الحقيقة ، وكما يفعل المفكرون الفرنسيون او الفلاسفة الامريكيون او الباحثون النظريون السوفييت ، ان تكف في هذا العصر المعقد السيبرناتيقي السني

تعقد دون حد واكتشف الفكر الانساني في كل مكان ذلك التعقد القديم المتزايد ، يعني ان تكف في هذا العصر عن التفكير المجرد وعن الاكتفاء بالتأمل المكتبي الذي لا يتغذى الا باوراق من كتابات القرن الماضي .. »
لم اقل « ينبغي » قبل « ان تكف » الاولى ، وقلت « يعني » وليس « ينبغي » قبل « ان تكف » الثانية . اضاف وهبة الى كلامي « ينبغي » لم اقلها ، وقطع كلامي من منتصفه وغير « يعني » مرتين وجعلها « ينبغي » ثم قطعه مرة ثانية لكي يبدو هذا الكلام (بطريقة لا تقربوا الصلاة) فطعيا جامدا يستصدر امرا ولا يقدم حجة ، يفرض رأيا ولا يسوق مناقشة ولا يفكر . يجعله ضد كل انواع التفكير والفعل وضد كل انواع التجريد . وربما فعل وهبة ذلك لانني وقفت ضد طريقته هو في التفكير والتجريد ، فلم يناقشني ، وانما ذهب يكذب - ببساطة يكذب ، ويقول مرة : انا لم اقل ، ويقول اخرى: انا لم اورد اسماء كتب ، ويقول ثالثة : انت قلت ينبغي ان تكف ، فيغير منطوق كلمتي ومعناها ، وسياق عبارتي وتركيبها لكي يصلح الكلام لاتهام صاحبه بانه « تناري » ضد « التفكير » وقدرة العقل على التجريد .

مدرس فلسفة هذا ام مزور كاذب ؟ ويتهمني بالتتارية ، وبانني ضد التفكير . اذا كان هذا هو التفكير يا سيد فانا ضده ، واذا كانت هكذا التتارية .. فمن هو التناري ؟ . ولكنه نوع واحد من التفكير ، الصيق ، العام ، الجاهل بحقائق الحياة والواقسع والحقيقة التي تعيشها في حضارتنا هذه ، والمعادي لان نعرفها لا لشيء الا لانك لم تستطع ان تعرفها وقد فات عليك اوان ان تفرق فيها لتعرفها . فما ايسر ان تقتعد مقعد شيخ الكتاب الاعمى بعصاه الطويلة : علينا ان نحفظ ما يقوله - وان اخطا (و « هجص » او ضربنا بعصاه او بمركوبه .

القاهرة

صدر حديثا عن

دار الطبيعة

العرب في الحاضر

تأليف محمود حسين

ترجمة ابراهيم الحاو

حرب تشرين قلبت العديد من المعطيات رأسا على عقب ، واثرت من خلال الشرق الاوسط على العالم كله من قريب او بعيد ، واوجدت واقعا جديدا غير متوقع ، ونقلت العرب من الماضي وعقدته الى الحاضر وآماله . وهذا الكتاب يروي قصة حرب تشرين سياسيا وعسكريا ، ويقول لماذا كانت حربا وانقلابا معا .

مستقبل وهم

تأليف سيغفوند فرويد
ترجمة جورج طرابيشي
« ليس ثمة سلطة تعلو فوق سلطة العقل ، ولا حجة تسمو على حجته » : هذه هي نقطة انطلاق فرويد الجذرية في التصدي لمشكلة الدين وعلاقته بالحضارة ومستقبله على ضوء المستتبعات الفلسفية لنظرية التحليل النفسي . وليس من قبيل الصدفة ان يكون « مستقبل وهم » - مثله مثل « قلق في الحضارة » و « موسى والتوحيد » - قد ظل حتى اليوم بلا ترجمة فمهما تكن مؤلفات فرويد الاخرى جريئة وخطرة على الايدولوجيا السائدة ، فمسن الممكن احتواؤها وامتصاصها بحجة انها علمية . اما مؤلفاته الفلسفية فخطرنا غير قابل للاحتواء ، ولهذا بقي الوجه الجذري والعلماني - لا العلمي فحسب - لفرويد مجهولا لدى القراء ، عندنا كما في كل مكان اخر من العالم .